4

أخطاء النظام ..
وسوف يكرر
غلطته !!

obeikan.com

obeikan.com

الذين ما كانوا ليتصورا أن بلادهم من الممكن أن تتعرض لنكسة تشبه ما حدث في يونيو ١٩٦٧م ، ما عادوا ليصدقوا بعد حدوثها ـ أبدًا أيضًا ـ أن تلك النكسة لا يمكن أن تتكرر .

لقد صحا الشباب على كارثة مروعة ، من هولها لم يعد يملك يقينًا في أن تلك الكارثة بعيدة عن الحدوث من جديد .

لهذا رفض الجيل من لحظتها ـ واستمر رافضًا ـ مبدأ التفويض .

أراد هذا الجيل منذ اللحظة الأولى أن يشارك في اكتشاف الخطأ ، وفي تصحيحه ، وفي رسم صورة تغيير لا بديل له ، وفي تنفيذ هذا التغيير ، ودك دعائمه غائرة في الأرض المصرية ، ليقود أمته إلى الأفضل ، والآمن المستمر .

لقد اكتسب جيلنا ثقة كبيرة في نفسه ، عندما استطاع أن يفرض ـ وسط غيره من الأجيال ـ إرادته في ٩، ١٠ يونيو ، وأن يثبت أقدام وقلب جمال عبد الناصر ، ويقبض بيد لا تلين على إنجازات ثورته ومفاهيم نظرتها المستقبلية من تاريخ نضال الشعب المصري كله في العصر الحديث ، الذي بدأ قبل الحملة الفرنسية بمائة سنة على الأقل « ولو كره العباقرة » .

هذه الثقة الكبيرة جعلت رابع المستحيلات أن يستسلم هذا الجيل إلى نعاس « تفويضي » جديد يحرسه الزعيم الساهر عليه .

بدأ يفكر ، بدأ يتعلم ، بدأ يتحرك ، بدأ يمارس من الفعل أهدأه وأصخبه ، وفي الحالتين كان صوته عاليًا.

ولم تحتمل السلطة .

ضربت السلطة ـ كما سنرى ـ دون رحمة مشاركة الجيل الحقيقية في صنع غد لا يملكه غيره !! لم يرضها إلا أن يشارك الجيل مشاركة صورية ، ولم يرض الجيل بأن

تكون مشاركته صورية وتعددت المواجهات .

واجه الجيل عناد عبد الناصر ، وواجه تراجع السادات .

وعندما فشلت المواجهة في تحقيق حقه في المشاركة الحقيقية اختفى بعضه ـ وكان بعض المختفين صناعة سلطوية على يد وعين أنور السادات ، روعوا الوطن بالعنف .

جاء العنف يأسًا من المشاركة .

جاء العنف مشاركة ولكن في الطريق الخطأ !! ودفع السادات الثمن من دمه فوق المنصة ، على أيدي من صنعهم ـ وعلى يد من اختفوا في وسط هؤلاء الذين صنعهم ـ لإبادة معارضيه .

وما زال العنف يروعنا متخذًا صورًا عديدة منها ما هو عنف على الذات ، وما هو عنف على الآخرين ، عنف سياسي « عرف باسم الإرهاب والتصق بالجماعات الإسلامية » ، يحطم فرصة الحوار ، صراعات دينية « فتنة طائفية » ، تحطم فرصة المواطنة الحقيقية وعنف على الوطن (بالانتماء الفكري لثقافات مهما ومض بريقها ، فهي الأقل إذا ما قيست بعمق ثقافة المصريين ، بعرق الحضارة النابض فيهم من آلاف السنين) ، يحطم قدرتنا على المراجعة ، عنف يتخفى في صورة شديدة الشراسة في الجرائم الفردية العادية ، يحطم فرصة التماسك ، عنف على الجسد والعقل بالإدمان يحطم فرصة الحل ، وعنف على الذات ، على الكينونة ، على إنسانية الإنسان ، أدى إلى عبادة الشيطان ، مهددًا فرصة المستقبل .

إنني ضد العنف ، وفي نفس الآن ـ وبنفس الحدة ـ ضد أسبابه ، ولأنني أرى أن أهم أسبابه ، يأس الجيل من المشاركة الإيجابية ، في صناعة الغد « تحول إلى لا مبالاة بها ـ واللامبالاة أعلى درجات اليأس » ، لأنني أرى هذا ، أقصى عليكم القصة منذ البداية وأطلب من الجميع استكمالها .

إن هذه الدائرة لابد أن تقطع ، ولكي تقطع علينا أن نعرف كيف بدأت ، وإلى أين تسير بنا ؟ وإلى أين نسير بها ؟

والبداية كانت في كيفية مواجهة السلطة لحركة ٦٨ في فبراير ، الحركة التي بدأها العمال ، واستمر بها الطلبة معهم .

هاني عنان يستثني جمال عبد الناصر !!

الطلاب كانوا يهاجمون النظام ويستثنون جمال عبد الناصر كقيادة ثورية ، كانوا يستثنونه حتى تلك اللحظة .

ولعلنا نتوقف هنا عند حادثة طريفة تظهر معاداة الطلاب للنظام، واستثناءهم جمال عبد الناصر ، قبل أن نتعرف على مطالب الطلبة التي كانوا ينوون إعلانها قبل أن يفاجئهم العمال المفاجأة الأولى ويسبقوهم إلى العمل الصاخب ، « هل كانت مبادرة العمال مفاجأة حقًا ؟ » .

عندما رقد هاني عنان « د. هاني عنان الآن ، صاحب ومدير توكيل كبير لتجهيز المستشفيات ، وطالب الطب ، وعضو منظمة الشباب وقتها » بمستشفى الهلال الأحمر مصابًا برصاصة اخترقت حوضه من الناحيتين ، واستقرت تحت الجلد في الناحية الأخرى ، بعد أن واجه البوليس مظاهرات الطلاب بالرصاص ، وجاءه المحققون ليعرفوا ملابسات إصابته سأله المحقق :

هل تعرف من الذي أطلق عليك النار ؟

قال هاني عنان « ١٨ سنة وقتها » :

أعرفه جيدًا .

من هو ؟!

شعراوي جمعة .

من ؟!!

شعراوي جمعة .

تقصد أن السيد شعراوي جمعة هو الذي أصدر الأمر بإطلاق النار على المتظاهرين ؟

لا أقصد أنه هو من أصابني بيده إصابة مباشرة .

هل رأيته ؟ هل رأيته بنفسه يطلق الرصاص عليك ؟

رأيته يرفع المسدس ويصوبه نحوي ويطلق الرصاصة ، ورأيتني أقع مصابًا برصاصته التي أطلقها من مسدسه عليَّ بنفسه .

لا أعلم كيف فكر المحقق وقتها في هاني عنان ؟ لكني أظن ـ وبعض الظن إثم ـ أنه لم يفهم ما عناه هذا الشاب الصغير ـ وقتها ـ باتهامه الصريح هذا ، وبرغم اقتناعي شخصيًا الآن ـ بأن شعراوي جمعة هو مطلق الرصاص في كل مكان في نفس الوقت وبنفسه ، إلا أن هاني عنان الذي كان يستثني نفسيًا أن يكون جمال عبد الناصر هو من أطلق الرصاص على الشباب ، أراد شعراوي جمعة متهمًا ، لماذا ؟ لكي يستبعد داخله أن يكون جمال عبد الناصر هو المتهم ، ولكي يعبر عما كان يجيش في نفوس الشباب وقتها من أن عبد الناصر ثوري ، لكن من حوله يُفقدون الثورة ثوريتها ، ويجعلونها في مواجهة ساخنة دموية مع مؤديها ، وهذا هو الاتهام الذي عبر عنه هاني عندما أصر على أن الجاني هو شعراوي جمعة ، أليس هذا التعبير دقيقًا عن أن الشباب وقتها كان يستثني جمال عبد الناصر من اتهاماته ، متمنيًا فيما دون الوعي « اللاوعي » أن يكون جمال عبد الناصر كما يريدونه ، وأن يستمر بالثورة ، بواسطة أصحاب المصلحة الحقيقية في استمرارها ، وهم الشباب مالكو المستقبل ، « الذين لم يمتلكوه أبدًا فيما بعد الآن !! » .

لا وألف لا للتفويض :

كنا نقول أن الشباب ـ طلبة وعمالًا بحثوا عن الخبرة في انتفاضة ١٩٤٦م، وكنا نقص

قصة المتهم الأول في ـ أحداث فبراير ـ من الطلبة ، الذي رغب في أن يقيم اتصالًا مباشرًا بين جمال عبد الناصر وجماهيره دون عوائق من المستفيدين وأصحاب مقولة : « ليس في الإمكان أفضل مما كان ، ودعوا الزعيم يخرجكم من الأزمة » ، وراح في براءة سياسية « عنوان مذكراته التي أنقل عنها والتي ما زالت مخطوطة تحت الطبع » .

يستغني منظمة الشباب ـ وكان عضوًا في لجنتها المركزية ـ عما يجب عمله ففوجئ بأن المسئول عن المنظمة ـ السيد أحمد كامل ـ غير موجود ، وأن الاتصال بالسيد على صبري الأمين العام للاتحاد الاشتراكي غير ممكن ، وظل في انتظار التعليمات أمام النصب التذكاري المواجه للجامعة « لم يعرف وقتها أن المنظمة تشبه النصب التذكاري أمامه » ، فلما طال انتظاره دخل الجامعة وقد ركبه الهم .

والآن ، نستكمل القصة يقول المتهم الأول أحمد عبد الحميد شرف :

عندما عدت إلى الجامعة « من كلية الطب وكان قد قابل عبد الحميد حسن رئيس اتحاد طلاب جامعة القاهرة في ذلك الوقت وطلب منه أن يحصل على تصريح من الأمن بفتح مدرج « العميد بدر »، بكلية الحقوق، ليقيموا احتفالًا رئيسيًا للجامعة بدلًا من أن يكون يوم الطالب العالمي مجزأ على احتفالات الكليات كل على حده » علمت بأخبار مظاهرة عمالية قامت في حلوان ، لدى سماعي بهذا النبأ ، انفرجت أساريري ، ورحت أؤكد أننا قاب قوسين أو أدنى مما نريد تحقيقه .

وبضحكة عالية قلت لأسامة الغزالي « د. أسامة الغزالي حرب ، رئيس تحرير مجلة السياسة الدولية فيما بعد ، ورئيس حزب معارضة الآن ، وكان طالبًا بكلية الاقتصاد وقتها » .

سوف تشهد اليوم مظاهرة جامعية .

لو تحقق ما تقول سأقدم لك اعتذارًا على الفور .

عودة قصيرة إلى الوراء :

نضيف هنا للسادة المحللين حسني النية هذه المقولة ـ الأقدم عمر ـ الأحمد شرف المتهم الأول في أحداث يحللونها لعلهم ينتفعون بها .

في نهاية ديسمبر ١٩٦٧م كنت قد توصلت بيني وبين نفسي إلى أن منظمة الشباب الاشتراكي قد تحولت إلى إطار بيروقراطي ، غير قادر على إنجاز أو السماح بإتمام أية حركة تدخل في معمعان قضية السلطة ، ودور المشاركة الشعبية فيها ، ومن أكثر ما لفت نظري في تلك الفترة تحول المنظمة إلى جهاز يرفع تقريرًا يوميًا عن اتجاهات الرأي العام ، حتى أن عادل عبد الفتاح إزاء إلحاحي على قضايا التغيير ، أخذ يدعوني إلى كتابة تقارير رأي عام تعكس دعوتي ، « ومع كل ذلك اتجه إلى المنظمة يطلب رأيها ويحيطها علمًا بما انتواه في الجامعة » .

لذلك دعوت في أحد أيام شهر يناير ١٩٦٨ مجموعة من أصدقائي إلى التحرك من خلال الجامعة باعتبار أن التجمع الطلابي ، يمكن أن يشكل كيانًا جماهيريًا مؤثرًا (..)، وكم شدد علي النكير صديقي أسامة الغزالي حرب ، وأشبعني تهكمًا ، وأخذ يقول لي : ألا تعلم أن مصر لم تشهد مظاهرة سياسية منذ عام ١٩٥٤؟ كيف تتحرك الجامعة والشباب، في حالة كبيرة من السلبية واللامبالاة ، إن ٩، ١٠ يونيو حدث تلقائي انبعث في جو صدمة مروعة ، ولن تتكرر بسهولة .

لقد كان الطالب أسامة الغزالي حرب « في ذلك الوقت المبكر من حياته » يعبر عن رأي المثقفين الذين استكانوا سنوات طويلة ـ وحتى الآن ـ إلى أطروحاتهم عن سلبية الشعب ، وصبره على المظالم ، هؤلاء المثقفون الذين لم يتعلموا للأسف شيئًا من درس تكرر كثيرًا في حياتهم ، درس يؤكد أن الجماهير الشعبية كانت تسبقهم في كل مرة ، والذين لم يحاولوا أبدًا معرفة العوامل التي تحكم تحرك الناس ، ولعلهم لم

يحاولوا عن عمد ، ذلك أن كثيرًا من المثقفين لا يعرفون كيف يكلمون الناس .

وكثير من هذا الكثير احترفوا دومًا تثوير السلطة لا تثوير الجماهير ، إذ يوجهون خطابهم دائمًا إلى أعلى ، وهم بهذا يخلصون ضمائرهم ، بينما الوطن يجأر في طلب الخلاص ، أرى أنهم اعتادوا أن يفعلوا هذا لأنني فيما أظن - وليس كل الظن إثمًا - أن تثوير السلطة وتنويرها أكثر أمنًا من تنوير الجماهير ، وبالطبع من تثويرها .

لقد كان الطالب أسامة الغزالي يستبعد فكرة أن تخرج الجامعة في مظاهرات احتجاجًا على أحكام الطيران الهزيلة وما تعنيه من محاولة إخفاء السلطة رأس نعامة الشعب في الرمال ، وكأن المسؤولية محصورة فيمن عوقبوا ، وليست مسؤولية نظام ترهل وتسيبت مفاصله إلى الحد الذي يحتاج إلى تغيير كيفي .

والآن فلندقق ونحن نحقق من مطالب الطلاب :

ونعود إلى كلام أحمد شرف الذي توجه بعدها لهندسة القاهرة ليقنع محمد فريد حسنين (كان عضوًا بمنظمة الشباب ، ورجل أعمال فيما بعد ، يملك ويدير مصنعًا لطلمبات المياه، ثم عضوًا مستقيلاً من مجلس الشعب) ، ورشيق رفعت « عضو اللجنة المركزية لمنظمة الشباب وقتها ، ومهندس بكندا الآن » بأن يخرجوا بمن سيحضر الاحتفال « احتفال هندسة القاهرة بيوم الطالب العالمي عام ١٩٦٨م » ، ونطوف بالجامعة في مظاهرة صامتة بعدها نتوجه لقاعة الاحتفالات الكبرى ، أو لمدرج العميد بدر بكلية الحقوق لتنظيم مهرجان احتفالي كبير باليوم العالمي للطلاب ، نعلن فيه مطالبنا ، ونضيف عليها ثلاث نقاط أخرى :

١ - استنكار أحكام الطيران والمطالبة بإعادة المحاكمة .

٢ - استنكار التصدي لمظاهرات العمال في حلوان اليوم ، في دولة تنادي بالاشتراكية ، وتبرز الطبقة العاملة فيها باعتبارها نواة التحالف الطبقي « ولعلنا نختلف معه على أن

التحالف كان في عهد عبد الناصر طبقيًا » المسمى تحالف قوى الشعب العامل .

٣- المطالبة بالتغيير الثوري وإعادة الالتحام بين القيادة الثورية والقاعدة الثورية .

ومرة أخرى نتوقف لحظة لنقول للسادة المحللين حسني النية ، الذين يصرون على أن حركة الطلبة وحركة الشباب المصري ٦٨ـ ١٩٧٧م ، كانت مجرد هبات صاخبة ، وكل هبة منها رد فعل لحادثة معينة ، نقول لهم : ها هو ذا المتهم الأول « ولا يهمنا الترتيب ، فالترتيب قامت به المباحث العامة في ذلك الوقت » يؤكد أنه كانت للطلبة مطالب يريدون إعلانها في الاحتفال العام للجامعة بيوم الطالب العالمي ١٩٦٨م ، خاصة بالتغيير الثوري وإعادة التحام القيادة الثورية بجماهير الثورة أصحاب المصلحة ، وإسقاط حائط الانتهازيين والبيروقراطيين الذي يشوه هذا الالتحام ، بل يمنعه منعًا ، وأنهم أضافوا إليها ـ إلى مطالبهم ـ النقاط الثلاث التي تتضمن اعتراضهم ، على أحكام الطيران ورد فعل الحكومة لمظاهرات العمال .

ولنعد مرة أخرى إلى أحمد شرف ـ ولكن في روايته لأحداث التظاهر الطلابي في فبراير ١٩٦٨ ـ يقول : كان الإعداد لهذه الفكرة « فكرة التحرك الجماهيري لإبقاء المبادرة في يد جماهير ٩، ١٠ يونيو » ، يتطلب تنشيط الصلات مع الاتحادات الطلابية ، وقد كان خطي « تعبير تنظيمي ينتمي إلى منظمة الشباب ويقصد به إذا قيل مختصرًا هكذا : خط اتصال أو قناة تواصل » ، مع جامعة عين شمس في أحسن حالاته ، فمن بين أصدقائي الشخصيين ، الصديق معتز الحفناوي [1] رئيس اتحاد جامعة عين شمس ، ومجموعة من أنشط الطلاب يسيطرون على اتحاد الهندسة والتجارة بالذات ، غير أن صلاتي لم تكن قوية مع اتحادات الطلاب في جامعة القاهرة ، ففي هذه الفترة كان رئيس اتحاد طلاب جامعة القاهرة عبد الحميد حسن ،

(١) انظر رأي معتز الحفناوي في ملاحق الكتاب .

الطالب بطب قصر العيني ، شابًا فقير الحال في مبناه ومعناه « لا أظن أن هذا كان رأي المدعي الاشتراكي فيما تلي ذلك من سنوات » وكان قد حضر دورة أخيرة في منظمة الشباب « المرحلة الأولى من ثلاث » وأصبح عضوًا جديدًا بها وكان منظره المتواضع ومفاهيمه المتواضعة دافعًا لأن أخطو نحوه وأتعرف به غير أنه كان شخصًا متحفظًا فلم تنم علاقتنا ولكن ظلت المعرفة علاقة عادية .

ثم يتكلم أحمد شرف عن جماعة الفكر الاشتراكي في اقتصاد وعلوم سياسية ، وكيف مدت نشاطها إلى الهندسة ، وكلية الطب البيطري ، وعن توظيف علاقته بشباب المنظمة من الطلاب ، محددًا أن الشباب ، وبالذات الثوري، لابد أن يدخل غمار معركة السلطة المثارة ، وأن يحدد موقعه في تيار استمرار الثورة بالتغيير الفوري الثوري ، وأن يمارس ذلك عن طريق حركته المستقلة ، التي تعيد تأسيس منظمة الشباب الاشتراكي ، بالمبادرة السياسية للشباب على أساس ديموقراطي « يقصد بالانتخاب الذي كان مطلب شباب المنظمة في إعادة هيكلتها ، تلك الهيكلة التي تمت بالاختيار ، وفي غياب الشباب ، في بدء نشاطات ، حين إعلانها المنظمة عندما كان عدد الشباب فيها محدودًا ، وتم الانتقاء من العدد المحدود » ، يدفع بالفاعلين النشطاء إلى مواقع السلطة فيها « يقصد في المنظمة طبعًا » ، « هل بعد ذلك ـ أيضًا ـ ما زال السادة المحللون « حسنو النية » عند رأيهم في أن حركة الشباب ـ عمالًا وطلابًا ـ حركة لم تكن إلا رد فعل لأحكام الطيران ، ها هو واحد من الشباب يظهر ـ أيضًا ـ أن الطلاب كانوا يموجون برغبة في التغيير باحثين عن وسيلة للضغط بالجماهير لتحقيق هذه الرغبة ويُظهر أيضًا أن التغيير اتخذ في أذهانهم طريقًا ديموقراطيًا على حسب ، ما سمح لهم سنهم ، والثقافة السائدة في المجتمع بأن يفهموا معناها ونظمها وآلياتها ، وللحق والتاريخ كان فهمهم للديمقراطية ـ مثل كثيرين من الكبار ـ فهمًا سطحيًا » ، يدفع بأحسن العناصر إلى مواقع السلطة ويزيح الانتهازيين

والبيروقراطيين الذين لا مكان لهم في حركة تغيير ثوري ، بعدها جاءت أحكام الطيران ، وتصرف السلطة المتسم بالغدر والخداع الشديدين في مواجهة العمال ، حيث طلبوا من العمال أن يبقوا مظاهرتهم في حدود منطقة حلوان ويعلنوا ما يشاءون من مطالب ثم فتحوا عليهم النار عند قسم الشرطة ، « ادعى شعراوي جمعة فيما بعد أن فتح النار خطأ شخصي من مأمور القسم الذي تصور أن العمال سيهاجمون القسم ، فأي خطأ شخصي كان وراء فتح النيران على الطلاب عند مبنى جريدة الأهرام وفي شارع رمسيس ووراء مستشفى الهلال الأحمر ، وفي العباسية؟! ، هل في كل مرة تم فيها فتح النار كان الخطأ شخصيًا ؟!! » . وأين كان سيادته والأخطاء الشخصية تتوالى بعد أيام من الخطأ الأول ؟!!) لقد كان الخطأ خطأ النظام ، (الذي عودنا في كل مرة على أن يبحث عن كبش فداء لأخطائه ، وأن يبرر التحركات التي تنطلق ضده بنظرية المؤامرة ، والعمالة لجهات أجنبية ، كأن من يمارس حقه في المعارضة ، ومن يطلب أن يشارك في صنع القرار السياسي ما هو إلا متآمر وكأن لا أحد يهتم بمستقبل هذا البلد إلا الجهات الأجنبية ذات الغرض وعملاؤها في الداخل) ، لقد أضاف الطلاب بعد أحكام الطيران وبعد تصرف السلطة بوحشية لإجهاض التحرك الشعبي - في مواجهتهم مظاهرات العمال بالرصاص الحي - فوق مطالبهم مطالب تنتمي لهذين الموقفين .

ظلم المحللون - حسنو النية - حركة الشباب ، وهذا واضح الآن ، حين صوروها رد فعل ، واختاروا في ٦٨ أن تكون رد فعل لأحكام الطيران في فبراير ، بينما كانت الحركة في الواقع ردًا فعليًا « وليس رد فعل » على ترهل نظام سياسي ، أدى إلى نكسة بشعة خرجوا في أول الأمر ليغيروه بتطهيره من البيروقراطيين والانتهازيين الذين لا يجيدون إلا تبرير أعمال النظام وأخطائه أيضًا ، ولا يبدؤون كلماتهم إلا بهذا القول الذي سئمناه : « انبثاقًا من قول السيد الرئيس كذا وكيت أرى - مثلما يرى سيادة

الرئيس ـ كيت وكذا » .

خرج الشباب لجمال عبد الناصر في فبراير فلما ضربهم نظام عبد الناصر ولم يتغير إلا تغييرًا صوريًا ـ خرجوا في نوفمبر ضد عبد الناصر ، وبعدها خرجوا ضد أنور السادات ، ولم يكن الخطأ خطأ الشباب بالطبع .

ولنعد إلى الأحداث مرة أخرى « بعدها نعود إلى المحللين حسني النية مرة ، وربما مرات » .

يقول أحمد شرف في مذكراته : أن محمد فريد حسنين ورشيق رفعت اقتنعا بضرورة خروج الجميع من احتفال كلية الهندسة في مظاهرة صامتة تطوف بالجامعة ليعقدوا بعدها مؤتمرًا يعلن الطلاب فيه مطالبهم ، ويحاولون إيصالها للمسئولين ، وبالفعل دعا فريد حسنين الجميع للخروج في المسيرة التي طوفت بالجامعة ، وكانت في كل لحظة تتمدد وتكبر بعدد طلابي من كليات الحرم الجامعي ، ثم توجهت المسيرة إلى قاعة الاحتفالات بالجامعة فوجد أفرادها القاعة مغلقة « ذلك أن كان قد وصل للنظام أو على أقل تقدير للحرس الجامعي ، خبر يؤكد ما اعتزمه الطلبة لابد نقله عبد الحميد حسن ـ الزعيم الطلابي ـ بعد أن طلب منه أحمد شرف فتح القاعة ، وأعلمه بالغرض من الفتح ـ تعلمنا أن نفتحها عنوة فيما بعد » .

وقف محمد فريد حسنين على سلم القاعة يخطب في زملائه :

كفانا صمتًا ، كفانا كبتًا دام خمسة عشر عامًا « الصحيح أربعة عشر عامًا بعد أحداث مارس ١٩٥٤ » لابد أن نخرج ما في قلوبنا .

ثم دعا الجميع للذهاب إلى مدرج العميد بدر بكلية الحقوق وهناك رأى الجميع أولى مفاجآت عبد الحميد حسن ، التي يصفها أحمد شرف بقوله :

« بجوار المدرج لمحت عبد الحميد حسن ، وعلى باب المدرج رأيت قوات حرس

الجامعة وقد اصطفت لحراسته ، عندها أدركت صحة تحذير د. محمود شريف « هل تذكرون التحذير في الفصل الماضي » ، جريت إلى عبد الحميد حسن صارخًا :

لماذا لم تقدم طلبًا رسميًا بعقد المؤتمر ؟

طلبت لكن حرس الجامعة رفض .

هنا طلب قادة المسيرة من الطلاب أن يهرولوا إلى مدرج ٧٨ في كلية الآداب ، وهرول الحرس الجامعي وراءهم لكن الطلاب سبقوا الحرس وسيطروا على المكان وعقدوا مؤتمرهم .

ولقد حاول أحمد شرف أن يجعل نبرة المؤتمر هادئة ، وأن يبذل جهده كله في أن يخرج المؤتمر بمطالب تهدف إلى وصل السلطة الثورية « جمال عبد الناصر » بالقاعدة الثورية (جماهير ٩، ١٠ يونيو ١٩٦٧) مثلما كانت قناعاته وتوجهه ، لكن أحمد شرف لم يكن يعلم أن سهام صبري في الطريق إليه .

وسهام صبري هي أسطورة الحركة الطلابية ، فتاة قوية البدن ، قوية الجنان ، «كانت طالبة بكلية الهندسة جامعة القاهرة ، ولها دور كبير للغاية ومؤثر للغاية أيضًا في الحركة ، سنتابعه حين نصل إلى أحداث ١٩٧٢م ، وأحداث ٧٣م أيضًا » .

دخلت سهام صبري إلى القاعة « مدرج ٧٨ بكلية الآداب » تصرخ « أحمد شرف لا يعرف أن كلمات سهام صبري صراخ ، وصرخاتها كلام شديد المعقولية ، والحزم ، والقوة أيضًا » ، قالت سهام : إنها جاءت للتو من حلوان ، وأنها شهدت المذبحة الخائنة التي أعدتها الشرطة للعمال ، ورأت دم العمال يسيل ، بعد أن فتحت الشرطة النار على الآمنين الذين استجابوا لدعوة الشرطة والنظام بأن تكون المظاهرة سلمية ، وفي حدود حلوان الضاحية!، وحدها لا يتجاوزونها .

على إثر كلمات سهام الصارخة ، ارتفعت وسط الطلاب الهتافات المعادية للنظام ،

وانطلقت مظاهرة صاخبة من المدرج ، انضم إليها الطلاب الذين لم يحضروا المؤتمر ، واتجهت المظاهرة إلى أبواب الجامعة ، فوجدوا أن الحرس الجامعي قد أحكم إغلاقها ، فتعالت الهتافات المنددة بالديكتاتورية العسكرية وبحكم الفرد المطلق .

راحت المظاهرة تعلن الاحتجاج على ضرب العمال بوحشية ، وفي الحقيقة على ضرب كل من يريد أن يشارك السلطة ولو بالرأي .

كانت المظاهرة تغلي وتهدر بالغضب ، وفي سرعة تجمع أعضاء منظمة الشباب ، أحمد يوسف « الآن أستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ومدير معهد الدراسات العربية» ، وأسامة الغزالي حرب ، وعبد القادر شهيب «نائب رئيس تحرير المصور الآن » ، وعثمان محمد عثمان « أستاذ ومستشار التخطيط بالمعهد القومي للتخطيط سابقًا » ، وأمل الشاذلي « رئيس قسم العلاقات الخارجية بجريدة العالم اليوم الآن » ، وصالح سمرة «مهندس وعضو التجمع في دكرنس الآن » ، وعثمان عزام « مهندس ورجل أعمال الآن» وسيد عمر سرحان « مهندس الآن » ، وعلاء حمروش « توفي وفقدناه بعد أن صار أستاذًا للفلسفة بكلية آداب بنها جامعة الزقازيق ، ورئيسًا للمركز القومي لثقافة الطفل » ، ولم يحضر الاجتماع محمد فريد حسنين ، عضو المنظمة ، الذي خرج عن الخط وراح يندد بالديكتاتورية العسكرية ، وحكم الفرد المطلق وسياسة تكميم الأفواه في المظاهرة التي كان يتنامى عددها خارج المدرج ، قرر المجتمعون ضرورة تكوين وفد يقابل مدير الجامعة « الوظيفة الآن رئيس الجامعة » وتم اختيار علاء حمروش قائدًا للوفد .

وهنا نتوقف لنرى العجب ، منظمة الشباب التي ذهب إليها أحمد شرف بالأمس ، فلم يستطيعوا العثور على أحمد كامل مسؤولها ، « حسب زعم د. عادل عبد الفتاح أمين الشباب » ، ولم يستطيعوا الاتصال بعلي صبري « حسب زعم نفس الزاعم » ، وتركه « أحمد شرف » ملطوعًا أمام النصب التذكاري في مواجهة بوابة الجامعة أكثر

من ساعة في انتظار التعليمات كما مر بنا ، أفاقت « خوفًا من المسئولية بالطبع » واستطاعت أن تفعل الصعب ، أن تستدعي أحمد شرف من الجامعة الصاخبة مقفولة الأبواب بالحرس الجامعي .

في المنظمة وجد أحمد شرف د. عادل عبد الفتاح وسط مجموعة من سكرتارية المهام .

يقول أحمد شرف : بادرني عادل عبد الفتاح قائلًا :

عملتها وانسرقت منك يا فالح ؟ شايف طلعت غشيم إزاي ؟

« لا أريد أن أعقب واحكموا أنتم بأنفسكم على هذه الكلمات » .

قال أحمد شرف :

لأنكم تركتموني وحدي بجهدي الفردي ، وجهد مجموعة من الزملاء ، فلم نستطع أن نصل إلى ما نرجوه ، العيب في تخاذلكم وليس في غشمي أو غشمنا .

بالطبع استطاعت المنظمة وقتها العثور على الأستاذ أحمد كامل ، الذي بادر واجتمع بأحمد شرف أو لنكن أكثر تواضعًا ونقول التقى به .

يقول أحمد شرف :

طلب مني « أحمد كامل » أن أضع تصورًا للأحداث في الأيام المقبلة ، حدثته عن فكرة جدار الصمت المنهار « يعني أن الشعب لم يعد يطيق السكوت ، والاستبعاد التفويضي » صدق على ما أقول ، تحمس لما أطلب ، عندئذٍ طلبت منه أن يمهلني إلى الغد حتى أقدم له تصورًا أعم عن الأحداث ، وكيفية شق مجرى السيل المصاحب لها « يقصد السيل المعادي للنظام وهتافاته الهادرة » وافق على ذلك واتفقنا على اللقاء في الثانية عشرة من ظهر الخميس ٢٢ فبراير ١٩٦٨م .

لكن مفاجأة غريبة ـ أخرى ـ كانت في انتظار أحمد شرف .